Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 33:4 (1998)

كتاب: العلامة محمد إقبال في مصر الأزهر

تأليف: حازم محمد أحمد المحفوظ

مراجعة وعرض: معتصم يوسف مصطفى

كان للمصريين فضل تقديم العلامة محمد إقبال إلى قرّاء اللغة العربية من خلال ما قدّموه من دراسات عن شعره وفلسفته، وترجمة لدواوينه الشعرية وقد أسهم في ذلك المجهود كوكبة منهم عباس محمود العقاد و د. طه حسين، وغيرهم كثر. وقد كان رائد ترجمة دواوين العلامة محمد إقبال د. عبدالوهاب عزام الذي كان أول سفير لجمهورية مصر العربية لدى باكستان بعد استقلالها عن الهند، وقد ترجم أربعاً من دواوين إقبال فضلا عن دراسات وأوراق علمية أخرى كتبها عنه، كما أسهم في ترجمة دواوين إقبال الشاعر المرحوم الصاوي علي شعلان و د. حسين مجيب المصري، وكذلك د. سمير عبدالحميد إبراهيم والدكتور محمود أحمد غازي الباكستاني نائب رئيس الجامعة الإسلامية العالمية، وغيرهم. وكما كان للدكتور حسن الشافعي رئيس الجامعة الإسلامية العالمية فضل

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

ترجمة كتاب إقبال "تطور الفكر الفلسفي في إيران". وهذا الكتاب عبارة عن رسالة قدّمها العلامة محمد إقبال لنيل درجة للماجستير.

وقد صدر مؤخراً هذا العام (١٩٩٨م) عن دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة كتاب "العلامة محمد إقبال في مصر الأزهر" لمؤلفه حازم محمد أحمد المحفوظ المدّرس المتخصّص في اللغة الأردية بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر الشريف. وعنوان الكتاب صدى لعنوان مقال د. سمير عبدالحميد إبراهيم "مصر الأزهر في فكر إقبال" الذي نشره د. ظهور أحمد أظهر ضمن مجموعة مقالات لكتّاب متعدّدين في كتابه"إقبال العرب على دراسات إقبال" الصادر عن المكتبة العلمية بلاهور في سنة ١٩٧٧م، والذي لا شكّ فيه أن المؤلف قد نظر إلى هذا العنوان بدليل أن كتاب الدكتور ظهور أحد مراجع المؤلف، ولا بأس بذلك.

ويجيء الفصل الأول من الكتاب بعنوان "العلامة محمد إقبال في مصر"، وقد خصّص الفصل للحديث عن زيارتين قام بهما إقبال لمصر كانت أولاهما في سنة ١٩٠٥م والأخرى في سنة ١٩٣١م، وقد فصّل المؤلف ماجرى في الزيارة الثانية التي استمرت لخمسة أيام مستمدّاً برنامج الزيارة من صداها في الصحف والمجلات المصرية التي صدرت في ذلك الوقت ونجد في هذا الفصل بعض العنوانات الجانبية التي لا تتسق مع عنوان الفصل مثل: ـ "مصر في دواوين ومراسلات العلامة محمد إقبال من عام ١٩٣٢ وحتى عام ١٩٣٨م" ومثل: ـ "العلامة محمد إقبال ووفد علماء الأزهر الشريف

في مدينة لاهور" ومضمون العنوان الأخير هو عين ما تناوله د. سمير إبراهيم في مقاله "مصر الأزهر في فكر إقبال"، فالمنهجية العلمية تأبي عدم اتساق العنوانات الجانبية للفصل مع العنوان الرئيسي له.

وفوق ذلك فالعلاّمة محمد إقبال صاحب الدعوة إلى قيام دولة باكستان على أساس الإسلام الذي حارب الأفكار العلمانية بشعره وفلسفته ونضاله الحياتي كان يمكن الكتابة عنه وعن فلسفته وشعره بأفضل من التفصيل المملّ لزيارته مصر كأن يكون قد وصل الساعة كذا، وركب قطار الثالثة، ونزل في فندق كذا، واستقبله فلان وفلان.

والكتاب عندما يصدر عن باحث علميّ فإنه بالضرورة يتعرّض للنقد العلميّ وصولاً للأحسن، ففي حين يورد المؤلف في ص ٥١ أن إقبال يعرف العربية فيما يعرفه من لغات، نجده يقول في ص ٦٨ أن وزير الإرشاد القومي المصري وجد صعوبة في التخاطب معه باللغة الإنجليزية وأنهما استعانا بمترجم، كما أنه أورد أن إقبال قدّم كلمته في جمعية الشبان المسلمين باللّغة الإنجليزية، فلماذا يخاطب إقبال جمهوراً عربياً باللغة الإنجليزية وهو الذي يعرف اللغة العربية ؟ فضلاً عن أن اللغة الإنجليزية ليست لغته ولا لغة من يخاطبهم. فالكاتب فات عليه أن يفسر لنا هذا التناقض الذي وقع فيه.

والكاتب يصل إلى أحكام تعسفية لا يسندها دليل، وإنما يقرّرها تقريراً، فهو يقرّر أن الوفد ـ الذي كان إقبال من بينه ـ نزل في

ضيافة د. عبدالحميد سعيد، بينما القارئ للكتاب يتضح لـه أن الوفـد قد نزل في فندق المتروبول، وقراءة برنامج الوفـد تنفـي أنهـم كـانوا ضيوفاً على د. عبدالحميد فهم لم يتناولوا إلا العشـاء معـه ذات مـرّة، وحتّى ذلك العشاء لم تشر الصحف أن العلاّمة محمد إقبال كان مـن بين حاضريه، ومع ذلك فالكاتب يريد أن يصل بشكل متعسّـف إلـى أن إقبال كان حاضراً لذلك العشاء فيقول: ـ "ليس مـن كـرم الضيافـة دعوة مولانا شوكت علي ومـن نـزل معـه ضيفـاً فـي جمعيـة الشـبّان المسلمين دون دعوة العلاّمة محمد إقبـال"، ثـم يبنـي الكـاتب نتـائج على هذا الافتراض التقريريّ ـ الذي يعـوزه الدليـل ـ أن إقبـال التقـى هنـاك بشيخ الأزهـر ووزيـر الأوقـاف ومفتـي الديـار المصريـة. وإذا حدث ذلك فلماذا أغفلت صحيفة الأهـرام ذكـر خـبر قـدوم العلامـة محمد إقبال إلى العشاء وهو أهمّ مـن كـان فـي الوفـد؟ ألا يجـوز أن العلامة محمد إقبال قد دعي للعشاء لكنه اعتذر بسبب صداع ألمّ به؟ فما هكذا تورد الإبل يا حازم.

ويجيء الفصل الثاني من الكتاب بعنوان "المطبوعات الإقبالية العربية في مصـر"، فـالعنوان مضلّـل ويظـنّ القـارئ بسـببه أن لإقبـال مطبوعات عربية في مصر، وحقيقة الأمر أن الكاتب يعنـي الدراسـات المطبوعة في مصر عن إقبال، وإن كان بعضها ليس مطبوعاً في مصـر مثل ترجمة د. عبدالوهاب عزام لديوان "رسالة المشرق" فهو مطبوع في كراتشي، وكتاب د. عزّام "محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشـعره" وهو مطبوع في لاهور، وكذلك ترجمة د. سمير عبدالحميد إبراهيـم

لديوان "الأسرار والرموز" لإقبال الذي طبع في لاهور، وكان الأوفق أن يسمّى الفصل "دراسة إقبال لدى المصريين" حيث أن كثيراً من الدراسات والترجمات ممّا لم يطبع في مصر.

ويجيء الفصل الثالث للحديث عن الدراسات الإقبالية العربية في جامعات مصر، والفصل عبارة عن دراسة بيبلوغرافية لبحوث الدراسات العليا التي تمّت في مصر عن شعر إقبال وفلسفته، ويعكس لنا هذا الفصل الاهتمام المصريّ بدراسة إقبال دراسة علمية.

ويأتي الفصل الأخير بعنوان "العلاّمة محمد إقبال في عيون شعراء مصر" فالكاتب يسرد فيه القصائد التي كتبها المصريون في العلامة محمد إقبال، دون أن يتناول تلك القصائد بالتحليل، فأصبح الأمر مجرد مختارات شعرية لا تربطها بالدرس العلمي رابطة.

وقد جاء في الكتاب في تفصيل زيارة العلامة محمد إقبال التي وقعت بين الحادي والعشرين من شهر رجب إلى الخامس والعشرين منه في سنة ١٣٥٠هـ - حديث عمّا نظمه العلامة محمد إقبال على شاطئ نهر النيل من غروب الشمس وظهور الهلال، فهل يظهر الهلال بعد غروب الشمس بين الحادي والعشرين من رجب والخامس والعشرين منه في مصر؟ وقد أورد الكاتب أبياتاً يؤيد بها ما ذهب إليه ولا نجد فيها أثرا للحديث عن القمر، ولينظر ذلك الأمر في ص ٨١ من الكتاب.

وممّا لا حظناه في ذلك الكتاب أن المؤلف يملأ صفحاته بالصور الشمسية للصحف التي وردت فيها أخبار عن رحلة إقبال

لمصر، وليت الصور كانت مقروءة، وفي البحوث العلمية تكفي الإشارة إلى اسم الصحيفة ورقم عددها وتاريخ صدروها. ولم يكتف الكاتب بذلك وإنما أردفه بنشر الصور الشمسية لأغلفة البحوث الأكاديمية المتعلقة بإقبال بينما يكفي القارئ ذكر أسمائها وأسماء مؤلفيها. وقد فعل الكاتب نفس الصنيع مع المؤلفات التي تناولت فكر إقبال وفلسفته، فمن صفحات الكتاب البالغة ٣٥٦ صفحة نجد ٦١ صفحة منها صوراً شمسية لا حاجة للقارئ بها، هذا فضلاً عن الفهارس ومقدمات الكتاب والتقاريظ التي صدّر الكتاب وذيّله بها.

فشعر إقبال وفلسفته فيها كثير ممّا يستحق الدراسة، وسيرته فيها ما يلائم عنوان الكتاب أكثر ممّا جاء به المؤلف، فالمؤلف أستاذ للّغة الأردية ننتظر منه كثيراً من الدراسات العلمية في مقبل حياته، فليته يلتفت إلى شعر إقبال وفلسفته الصوفية الطابع.

ولا أحب أن أحرم الكتاب من فائدة قد يجنيها القارئ ـ وبخاصة طالب الدراسات العليا ـ فهو قد يستفيد من أسماء البحوث العلمية والمقالات والكتب التي ألفت عن العلامة محمد إقبال، وذكرها الكاتب في كتابه.